

تفسير سورة الطارق

روى عبد الله بن الإمام أحمد عن أبي حبل العدواني عن أبيه أنه أبصر رسول الله ﷺ في مشرق ثقيف، وهو قائم على قوس أو عصا حين أتاهم يتغي عندهم النصر فسمعتة يقول: «والسما والطارق» حتى ختمها. قال: فوعيتها في الجاهلية، وأنا مشرك، ثم قرأتها في الإسلام، قال: فدعنتي ثقيف، فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم، فقال: من معهم من قريش: نحن أعلم بصاحبنا، لو كنا نعلم ما يقول حقاً لاتبعناه. وروى النسائي عن جابر قال: صلى معاذ المغرب فقرأ البقرة والنساء، فقال النبي ﷺ: «أفتان أنت يا معاذ، ما كان يكفيك أن تقرأ بالسما والطارق، والشمس وضحاها، ونحوها؟»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّائِرِ ﴿٩﴾ فَا لِمَ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ ﴿١١﴾

يقسم تبارك وتعالى بالسما، وما جعل فيها من الكواكب النيرة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ (١) ثم قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ (٢) ثم فسره بقوله: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ (٣) قال قتادة وغيره: إنما سمي النجم طارقاً، لأنه إنما يرى بالليل، ويختفي بالنهار، ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح: نبى أن يطرق الرجل أهله طروقاً، أي يأتيهم فجأة بالليل، وفي الحديث الآخر المشتمل على الدعاء: «إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن». وقوله تعالى: ﴿الثَّاقِبُ﴾ المضيء، أو يثقب الشياطين إذا أرسل عليها ﴿إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ (٤) أي كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات ﴿لَمْ مَعَقَنْتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: 11] وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ (٥) تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه، وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد، لأن من قدر على البداء فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَدْرَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: 27] وقوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ (٦) يعني الذي يخرج دفقاً من الرجل ومن المرأة فيتولد منهما الولد بإذن الله عز وجل، ولهذا قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ (٧) يعني صلب الرجل، وترائب المرأة، وهو صدرها ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ (٨) فيه قولان أحدهما على رجوع هذا الماء الدافق إلى مقره الذي خرج منه لقادر على ذلك، والثاني أنه على رجوع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق، أي إعادته وبعثه إلى الدار الآخرة لقادر. لأن من قدر على

البداة قدر على الإعادة. ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ أي يوم القيامة تبلى فيه السرائر، أي تظهر وتبدو، ويبقى السر علانية، والمكنون مشهور، وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «يرفع لكل غادر لواء عند أسته، يقال: هذه غدرة فلان ابن فلان». ﴿فَأَلَمُ﴾ أي الإنسان يوم القيامة ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ أي في نفسه ﴿وَلَا نَاصِرَ﴾ أي من خارج منه، أي لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله، ولا يستطيع له أحد ذلك.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ وَمَا هُوَ بِالْمَرَّلِ ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْمُتُهُمْ رَبُّنَا﴾ ﴿ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ هو المطر، أو هو السحاب فيه المطر، أو ترجع رزق العباد كل عام، ولولا ذلك لهلكوا، وهلكت مواشيتهم، أو ترجع نجومها وشمسها وقمرها يأتين من ههنا ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ هو انصداعها عن النبات ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ حق، أو حكم عدل ﴿وَمَا هُوَ بِالْمَرَّلِ﴾ أي بل هو جد حق. ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سبيله فقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ أي يمكرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن، ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ ثم قال تعالى: ﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ﴾ أي أنظرهم ولا تستعجل لهم ﴿أَهْمُتُهُمْ رَبُّنَا﴾ أي قليلاً، أي وسترى ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك، كما قال تعالى: ﴿نُعْنَعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّضْطَرُّهُمْ إِلَيْكَ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: 24].

تفسير سورة الأعلى

والدليل على ذلك ما رواه البخاري عن البراء بن عازب قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم فجعلنا يقرءنا القرآن، ثم جاء عمار بن ياسر، وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء، فما جاء حتى قرأت ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ في سور مثلها. وروى الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ تفرد به أحمد. وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ: «هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى» وروى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قرأ في العيدين بسبح اسم ربك الأعلى، وهل أتاك